(المحاضرة السابعة)

أثر الحرب العالمية الأولى على الوطن العربي

١ –أسباب الحرب:

أطلعنا بشكل مفصل على أسباب الحرب العالمية الأولى، وقد انقسمت الى أسباب غير مباشرة وأسباب مباشرة.

وكانت **الأسباب غير المباشرة:** هي التحالفات الدولية التي أدت الى انقسام الدول الأوربية الى معسكرين متعاديتين تمثل الاول كتلة بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية **(كتلة الوفاق الثلاثي)** والثاني في ألمانيا والنمسا والمجر والدولة الفتية **(كتلة الوسط).**

أما السبب الاخران كثيرا من الشعوب الاوربة كانت تشعر بان لها اراض قد اغتصبت. ففرنسا كانت تريد استرداد مقاطعتي الالزاس واللورين من ألمانيا، وكان هناك نزاع شديد بين رومانيا والمجر على ترنسلفانيا، كما أرادت صربيا ضم البوسنة والهرسك.

إلا أن أهم **الاسباب غير المباشرة:** والذي كانت له علاقة وتأثير كبير على الوطن العربي، هو التنافس الاستعمار بين الدول الأوربية، فبعد قيام الثورة الصناعية وزيادة الإنتاج ثم حاجة الدول الصناعية الى أسواق خارجيه لتصريف بضائعها وللحصول على مواد أولية واستثمار رؤوس الأموال الزائدة. نشأ بين (١٨٧٠ – ١٩١٤م) صراع استعماري تقاسمت فيه الدول الصناعية الأوربية بلدان القارة الافريقية وبعض بلدان لها كما كان الصراع امتداداً للسيطرة على الشرق الاقصى والصين والوطن العربي وبقية بلدان الشرق الاوسط. يضاف الى هنا رغبة الدول الاستعمارية بإعادة تقسيم المستعمرات فيما بينها يدنسها في هذا مطامعها وشعورها بالقوة، وقد انعكس ذلك على الوطن العربي وغيره من المناطق المستمرة. فقد شعرت بريطانيا بالخوف من قوة ألمانيا وخطرها على مصالحها وقد تجسد الخطر الالماني في:

رغبة ألمانيا في ايجاد طريق لها عبر قناة السويس بالاعتماد على حليفتها الإمبراطورية الشمالية التي تسيطر على الوطن العربي، وكان هدف الالمان قطع هذا الشريان الحيوي عن بريطانيا وازاحتها عن الخليج العربي وتحويل الممتلكات العثمانية بما فيها الأراضي والمشايخ العربية الى محميات المائية، خط سكة حديد بغداد –برلين وما يشكله هذا التهديد الالماني من مخاطر على المصالح البريطانية خاصة بعد ثبوت وجود كميات تجارية كبيرة من النفط في شمال العراق.

سيطرة الخبراء والمستشارين الألمان على أجهزة الحكم العثمانية. خاصة العسكرية منها، كذلك كانت روسيا القيصرية ترغب في مد سيطرتها الاستعمارية على المناطق التي تسكنها أكثرية سلافية خاصة في شرق أوربا وبعض أراضي شمال فارس والمضايق التركية بقصد الوصول الى المياه الدافئة ((البحر المتوسط والخليج العربي)).

أما عن السبب المباشر لقيام الحرب فيرتبط بحادثة اغتيال ولي عهد النمسا والمجر فرنسيس فرديناند الذي اغتيل على يد طالب صربي في ٢٨ حزيران ١٩١٤م عندما كان في زيارة لمدينة (سراييفو) في البوسنة في يوغسلافيا ذلك اليوم، وقد كان سبب الاغتيال ايمان الصربيين في البوسنة والهرسك بضرورة تخلصهم من سيطرة النمسا والانضمام الى صربيا باعتبارهم امة واحدة وكانت منظمة الكف الاسود الصربية وراء عملية الاغتيال.

أيقنت النمسا أن سبب الحادث هو الشعور الموالي للعرب في البوسنة المدعوم من قبل روسيا القيصرية، فوجهت إنذاراً شديد اللهجة الى الحكومة الصربية في ٢٥ تموز ١٩١٤م. ونظرا لرفض صربيا قبول بعض بنود الإنذار التي تمس كرامتها تدعمها في ذلك روسيا، أعلنت النمسا الحرب عليها، وفي ٣٠ تموز عبأت روسيا قواتها ضد النمسا، وكانت ألمانيا تدعم النمسا بينما كانت بريطانيا وفرنسا حليفتين لروسيا بحسب الوفاق الثلاثي لسنة ١٩٠٧م، ونزع العالم من سرعة تطور الاحداث. وفي أوائل آب ١٩١٤م انضمت ألمانيا والنمسا (قوى الوسط) الى الحرب ضدّ فرنسا وبلجيكا وبريطانيا وروسيا (قوى الحلفاء أو الوفاق) وهكذا بدأت الحرب العالمية الأولي.

٢ –موقف الدولة العثمانية من الحرب:

أما الدولة العثمانية فقد بقيت في الشهور الأولى من المدرب ملى الحياد رسمها بالرغم من أنها عقدت مع ألمانيا في ٢ آب ١٩١٤م اتفاقية عسكرية سرية، كذلك فإن بريطانيا لم تكن راغبة من دخول الدولة العثمانية الى جانبها في الحرب لأن ذلك سيقف بوجه أطماع بريطانيا في الأراضي العربية التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية (الرجل المريض الذي يراد اقتسام أملاكه) وهكذا دفعت بريطانيا الحكومة العثمانية لتكون ضدها متبعة أساليب عدة منها:

رفضها تسليم حكومة الاستانة بارجتين حربيتين اوصت عليهما في المصانع البريطانية رغم أن اثمانها مدفوعة ، فتقد اصدر ونستون تشرشل وزير البحرية أوامره في أواخر تموز ١٩١٤م بمصادرة كلتا البارجتين بحجة خطر الحرب، وقد اثار ذلك سخطاً شديدا في الأوساط الحاكمة في اسطنبول، وكما قيل أن بريطانيا إذا كانت تريد أن تثير غيظ الأتراك وتدفعهم الى معسكر الألمان لما كان باستطاعتها أن تجد طريقاً أكثر فاعلية من هذا، وكانت هذه هي الخطوة الأولى لتوريط الدولة العثمانية في الحرب لافتراسها من قبل الحلفاء وخاصة بريطانيا وفرنسا.

أما الخطرة الثانية فهي بسماح الأسطول البريطاني في البحر المتوسط لطرادين حربيين المانيين هما ((غوبن)) و((بريسلاو))، بدخول المضايق حتى وصلا اسطنبول رغم احتجاجات الحكومة الروسية ورغم تفوق الاسطول البريطاني بشكل لا يقبل المقارنة، تسلمت الدولة العثمانية الطرادين وأطلقت عليهما بعد شرائهما رسميا أسمي ((بارز)) و((مبديلي))، وارتدى البحارة الألمان الزي العسكري العثماني، وأصبح قائد القطعتين

الأميرال سوشون قائدا عاما للأسطول العثماني باسم سوشون باشا، وقد عجل ذلك وصول الطرادين وما اتبعه دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا. وقد اعترف وزيرا الخارجية البريطاني كراي قائلا: «لو لم يصل كلا الطرادين الألمانيين الى اسطنبول لتباطأ الأتراك في تنفيذ معاهدة التحالف مع ألمانيا (معاهدة ٢ آب ١٩١٤م المذكورة) أو لما نقذوها أبداً.

وفي ٣٠ تشرين الأول ١٩١٤م اقترب الاسطول العثماني بقبادة سوشون باشا من السواحل الروسية وأطلق الطرادان نيران مدافعهم على مينائي اوديسا وسيباستوبول الروسيين. وأدى ذلك الى بدء العمليات الحربية بين روسيا والدولة العثمانية، وفى تشرين الثاني ١٩١٤م أعلنت بريطانيا الحرب على الامبراطورية العثمانية.

لقد غيرت نتيجة الحرب حدود عدد كبير من دول اورها، وعقدت الهدنة بانها. الحرب لصالح اللقاء في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨م وانهارت بذلك دول ألمانيا والنمسا والمجر والدولة العثمانية وسلبت دول الحلفاء أراضيها ومستعمراتها ومعاملتها معاملة قاسية وفرضت عليها اعباء كبيرة لم تكن قادرة على تحملها بعد أن خرجت من الحرب منهكة القوى.

٣ –المعاهدات ومراسلات حسين – مكماهون:

كان لا بد للعرب في نضالهم ضد الدولة العثمانية أن يجدوا متكأ لهم يساعدهم في تحرير أراضيهم وتكوين دولتهم المستقلة لذلك اقر زعما، جمعتي ((**العهد**)) و((**الفتاة**)) المجتمعين في آذار ١٩١٥م في دمشق. ميثاقاً تضمن أدنى الشروط الواجب تحقيقها مقابل دعم العرب لبريطانيا ومؤازرتها ضد الدولة العثمانية، وقد نص الميثاق الذي عرف بميثاق دمشق على استقلال المشرق العربي من الاحتلال العثماني الغاء جميع الامتيازات الأجنبية المعقودة بدون علم العرب أو رغما عنهم. وبعد ذاك بفترة قصيرة بدأت المباحثات بين بعض المسؤولين البريطانيين في القاهرة من أمثال رونالد ستورز

وكلبرت كلايتين وبعض الشخصيات العربية، أصدر بعدها السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر (كانون الثاني ١٩١٥م) بياناً بتقويض من الحكومة البريطانية. تعهد بالاعتراف بقيام دولة عربية مستقلة في شبه جزيرة العرب وتأمين سلامتها إلا أن اغفال البيان للأراضي العربية الاخرى عرقل المباحثات فاعتراها الفتور ثم توقفت في بداية صيف ١٩١٥م.

وفي تموز ١٩١٥م أستأنف حسين بن علي شريف مكة المفاوضات مع مكماهون برسائل متبادلة بينهما عرفت فيما بعد بمراسلات حسين –مكماهون. في منتصف تموز ١١٩١٥م أرسل الشريف حسين أولى مذكراته الى مكماهون واستمرت المراسلات حتى اختتمت في ١٠ آذار ١٩١٦ بمذكرة مكماهون الخامسة للشريف حسين التي جاءت رداً على مذكرة الشريف المؤرخة في ١٨ شباط ١٩١٦م. وبهذه المذكرة انتهت المراسلات، ويمكن تلخيص ما تم التوصل إليه في المراسلات بالشكل التالي:

١ –**الالتزامات من الناحية الحربية:** لم ينص عليها صراحة اذ تم بحثها شفهياً مع مندوب الشريف، ولكن الشريف نهم أن عليه أن يستخدم جميع قواته نقوده أمام الدولة العثمانية مقابل مساعدة بريطانيا للعرب بالسلاح والعتاد والمال.

٢ –**من الناحية السياسية:** تعهد الشريف بإعلان الثورة العربية وبالتنديد بالحكم العثماني.

٣ –كما تعهدت بريطانيا صراحة بتعهدين واضحين **الأول** الاعتراف بالخلافة العربية في حالة قيامها، **والثاني** الاعتراف باستقلال العرب ضمن منطقة معينة وحماية هذا الاستقلال.

٤ –أن القراءة المتأنية للمراسلات تبين أن رقعة الأرض التي اتفق على أن تنال الاستقلال هي ما اقره ميثاق: مشق في أن الدولة العربية المستقلة تمتد من قناة السويس حتى بغداد ومن البحر المتوسط حتى الخليج العربي بما في ذلك فلسطين.